نساء شهيرات

جمع وترتيب

السيد محمد بن علوي العيدروس (سعد)

نساء شهيرات

جمع وترتيب

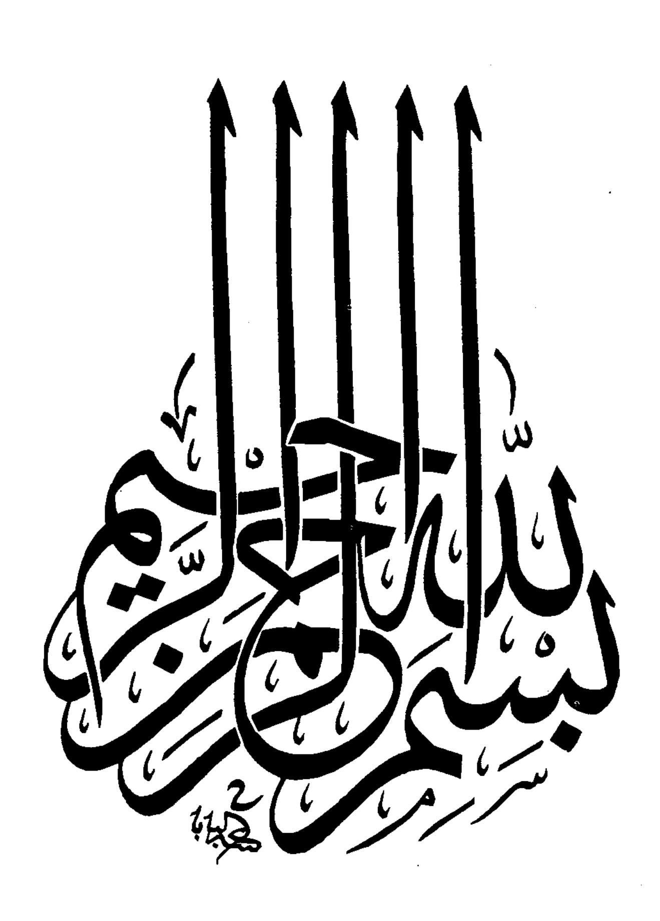
السيد/ محمد بن علوي العيدروس (سعد)

يقولـــون ذكـــر المـــرء يحيـــا بنـــسله
ولـــيس لـــه ذكـــر إذا لم يكـــن نـــسلُ
فقلـــت لهـــم نـــسلي بـــدائع كتبـــي
فمـــن سره نـــسل فـــإني بـــذا أســـلو

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

كتـــاب قـــد حـــوى دررٌ بعـــين الحـــسن ملحوظـــة
لهـــذا قلـــت تنبيهـــاً حقـــوق الطّبـــع محفوظـــة

نساء شهيرات


بسم الله الرحمن الرحيم

((السَّيدَةُ فَاطِمَةُ الزَّهراءِ البتُول))

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت رضي الله عنها قبل النبوة بخمس سنين ، تزوجها الإمام علي كرم الله وجهه في صفر بأمر الله تعالى ووحيه ، كان صلى الله عليه وسلم يقول : ((فاطمة بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها وإني أتخوف أن تفتن في دينها)) وفي رواية أخرى : ((يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها)) . وكان صلى الله عليه وسلم يقبلها في فمها ويمص لسانها ، وإذا أراد سفراً يكون آخر عهد بها ، وإذا قدم من سفر أول ما يدخل عليها ....،،

وقال لها عليه الصلاة والسلام : (ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وابناكِ سيدي شباب الجنة) .

وسميت فاطمة : لأن الله فطمها وذريتها من النار ، وسميت البتول : لانقطاعها عن الدنيا وعن نساء زمانها فضلاً وديناً وحسباً وسميت الزهراء : لأنها لم تحض .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من ابنته فاطمة ، وكان النبي إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه ، وكانت إذا دخل عليها قامت من مجلسها) .

وقالت أيضاً : (ما رأيت أحداً أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة ، وما رأيت أحداً كان أصدق لهجةً من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها صلى الله عليه وسلم) ، وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم سارّها في وجعه فبكت ، ثم دعاها فسارّها ثانيةً فضحكت . قالت عائشة : فسألتها عن ذلك ، فقالت (سارني أنه يقبض في وجعه فبكيت ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت).

وعن علي أنه قال لفاطمة رضي الله عنهما ذات يوم : والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري ، وقد جاء الله أباك سبي فاذهبي فاستخدميه ، فقالت : وأنا والله لقد طحنت حتى نحلت يداي ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما جاء بك أي بنيَّة ، قالت : (جئت لأسلم عليك) واستحيت أن تسأله ورجعت فقال : ما فعلت ؟ فقالت : (استحيت أن أسأله فأتياه جميعاً فقال علي : (يا رسول الله والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري وقالت فاطمة : لقد طحنت حتى نحلت يداي ، وقد جاءك الله تعالى سبي وسعة فاخدمنا) فقال صلى الله عليه وسلم : (والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم) .

فرجعا فأتاهما النبي صلى الله عليه وسلم وقد دخلا في قطيفتيهما ، فإذا غطيا أقدامهما كشفت رأسيهما ، وإذا غطيا رأسيهما تكشفت أقدامهما فثارا فقال : (مكانكما) ثم قال : (ألا أخبركما بخبر مما سألتماني) قالا : (بلى) فقال : (كلمات علمنيهنَّ جبريل ، تسبحان في دبر كل صلاة عشراً وتحمدان عشراً وتكبران عشراً ، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبِّرا ثلاثاً وثلاثين) . قال علي : فو الله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقال له ابن الكرا : ولا ليلة صفين قال : نعم ولا ليلة صفين.

ولما توفي صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة إلى أبي بكر فقالت له : (من يرثك ؟) قال : (أهلي وولدي) فقالت : ومالي لا أرث أبي ، فقال أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((نحن الأنبياء لا نورث))، ولكني أعول من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعول ، وانفق على من كان ينفق عليه فوجدت عليه في ذلك فهجرته ، فخرج أبو بكر حتى قام على بابها في يومٍ حار ، ثم قال : (لا أبرح من مكاني حتى ترضى عني بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها علي فأقسم عليها الترضي ، فرضيت ولما مرضت عادها أبو بكر فقال لها علي :

(هذا أبو بكر يستأذن عليك) قالت : (أتحب أن آذن له) فدخل عليها فراضاها ، فرضيت عنه رضي الله عنها وعنهم أجمعين .

وسئلت يوماً السيدة فاطمة رضي الله عنها : ما هو خيرٌ للمرأة ؟! قالت : (**أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل**) ،هذا هو ميزان سيدة نساء العالمين فأين نساءنا اليوم من هذا الميزان النبوي ؟!! ومن جعلناهم قدوتنا ؟!! ويروى أيضاً:أن هذا البيت النبوي السيدة فاطمة وسيدنا علي ليلة من الليالي جهزا لهما ثلاثة أقراص من الخبز وكانوا جائعين غاية الجوع ،فدق عليهم الباب، قالوا من بالباب؟ قال : مسكين جائع فأعطياه أحد الأقراص ، وبعد فترة قصيرة أتى الطارق الثاني ، قالوا : من بالباب ؟ قال : يتيم جائع ، فأعطياه القرص الثاني من الخبز . وبقي قرص واحد لهم ، وبعد فترة قصيرة أتى الطارق الثالث ، قالوا : من بالباب ؟ قال : أسير جائع ، فأعطياه القرص الثالث ولم يبق شيء في البيت وباتا جائعين .. فنزلت فيهم الآية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴿٧﴾ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ ﴾[1]

ومما ينسب للسيدة فاطمة من الشعر قولها ترثي أباها صلى الله عليه وسلم أورده ابن سيد الناس في سيرته :

أغبر آفاق السماء وكورت   شمس النهار وأظلم العصران
فالأرض من بعد النبي كئيبة   أسفا عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها   ولتبكه مصر وكل يمانِ
وليبكه الطود المعظم قدره   والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك صنوه   صلى عليك منزل القرآنِ

(أم معبد) عاتكة بنت خالد الخزاعية

عرفت هذه السيدة باسم (أم معبد) ، وقد دخلت التاريخ الإسلامي من خلال فصاحتها وبلاغتها في وصف النبي صلى الله عليه وسلم . وقد قيل لم يصف أحداً النبي صلى الله عليه وسلم بدقة وإحكام كما وصفته أم معبد رضي الله عنها .

---

[1]) الإنسان من آية ٧ إلى ١١ .

فعندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ـ وهو في طريقه ـ والشمس تتحلق في كبد السماء ، عند الظهيرة ، ورمال الصحراء وأحجارها تكاد تتفجر لهباً وشراراً ، لمح الر سول صلى الله عليه وسلم خيمة بعيدة ، وعلى الفور أتجه الركب نحوها للراحة واتقاء الحر والتزود.

وتشاء الصدف والأقدار أن تكون هذه الخيمة المرمية في الفلاة هي خيمة أم معبد . وكانت قد نصبت خيمتها في هذا المكان مع زوجها لِ لإستضافة الركبان وكسب أعطياتهم . وحين اقترب منها موكب الرسول . كانت وحدها فقد سرح زوجها يرعى شياهه في البوادي القريبة وترك زوجته لتستقبل الضيوف والنزلاء . اقترب منها الركبان وكانوا جائعين . فأرادوا أن يشتروا منها لحماً وتمراً . لكنهم لم يجدوا عندها شيئاً . وكانت آنئذٍ في ضيق شديد . نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى شاة ضعيفة تقف إلى جانب الخيمة . وسأل أم معبد ، هل بها لبن ؟

فقالت : هي أجهد من ذلك ......

فقال : أتأذنين لي في حلبها ؟

فقالت : بأبي أنت وأمي .. إن رأيت بها حلباً فاحلبها .

فقام النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشاة . ومسح ضرعها ودعا لها ، وسمى بسم الله العظيم ، فاجترت الشاة ودرّت ، فطلب إناءً حلب فيه وسقى أم معبد وجميع أصحابه ، وشرب النبي صلى الله عليه وسلم آخرهم ، وحلب في الإناء ثانية حتى ملأه وأعطاه لأم معبد ليبقى لديها .

ثم مضى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما ودعها هو ورفقائه متابعين طريقهم نحو يثرب ، ولم يمضِ وقت طويل حتى عاد زوجها وهو يسوق عنزاته ، ولما رأى إناء الحليب المترع عند أم معبد تعجب وسألها : كيف أتت به ؟ ومن أي شاة حلبته ؟ فحدثته أم معبد عن الركب الذي زارها وقد ذكرت بينهم رجلاً مباركاً هو الذي حلب الشاة .

فقال أبو معبد في لهفة :ـ صفيه لي يا أم معبد ؟

فقالت أم معبد : (رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه تجله ، ولم تزريه صقله . وسيماً قسيماً . في عينيه دعج ، وفي أشفاره وطف ، وفي صوته صحل ، وفي عنقه سطع ، وفي لحيته كثاثة ، أحور أكحل أزج أقرن، إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما وعلاه البها ، فهو أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعه ،

ولا تشنؤه من طول ولا تقتحمه العين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنظر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفند)

وحين سمع زوجها صفات النبي صلى الله عليه وسلم قال :-

هو والله صاحب قريش ، ولقد هممت أن أصحبه ، ولا أفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً .

وما إن سمعت أم معبد زوجها ، حتى كانت أسرع منه . وما هي إلا أيام حتى لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة هي وزوجها ، وهناك أسلما وبايعا ودخلا في حمى الإسلام ...... فرضي الله عنها .

رابعة العدوية (شهيدة الحب الإلهي)

تعتبر رابعة العدوية من أشهر الصوفيات في الإسلام . ما إن أظل القرن الثاني للهجرة حتى كانت العراق تنبض بالحياة ، والبصرة قد غدت من أعظم الحواضر . فكثر فيها المال والترف والبذخ ، وانتشرت دور اللهو ، وامتلأت القصور والبيوت بالجواري والغلمان ، وغدت العربدة سافرة على مسرح الحياة والمجتمع .

وهكذا وجد المؤمنون الأتقياء والفقراء طريقهم نحو العزلة والإنزواء في الأكواخ المتناثرة في أطراف البصرة دون أن يدري بهم أحد . وفي كوخ صغير معزول بين هذه الأكواخ ، كان يسكن رجل فقير معدم يعمل على قارب له في نقل الناس عبر ضفتي دجلة وكان تقياً مجرداً عن كل متاع الدنيا .

وذات ليله حانكة السواد فاجأ المخاض زوجته فراحت تتلوى وتصرخ من الألم ولا يوجد في البيت نقطة زيت تنير لها المصباح ، وما أن اختفى صوت الألم حتى شق السكون صوت طفلتهم الرابعة التي هبطت إلى الدنيا من جوف الظلام . كان هذا العابد يأمل أن يرزقه الله بغلام يساعده ، لكنه شكر الله على كل حال وأمسك بالطفلة القادمة وسماها رابعة ، وكان يبدوا مهموماً حزيناً . وكان الليل قد مضى نصفه ، فأوى العابد مجهداً إلى فراشه ، وما إن غلبه النوم . حتى رأى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول له :- (لا تحزن فهذه الوليدة سيدة جليلة وإن سبعين من أمتي ليرجون شفاعتها) .

عاشت رابعة في بداية طفولتها في بيت معزول وسط أسرة يعظها الجوع والفقر ويرتفع فيها الإيمان والتقى إلى أقصى الدرجات ، وإلى جانب الفقر والحرمان كانت رابعة تأخذ عن أبيها الدين والقناعة والورع . ثم بعد ذلك عاشت عيشة تغلبها الكآبة والحزن . ثم توفي والدها العابد وتبعته زوجته بعد فترة قصيرة . فقدت رابعة وأخواتها الثلاث الحنان والعطف والرعاية والحماية فأقبلوا بعد ذلك يواجهون الحياة .

فعمدت الشقيقات الثلاث للغزل في داخل المنزل ورابعة حلت مكان أبيها تعدِّي بالركاب طيلة النهار من ضفة إلى أخرى حتى اشتهرت برابعة العدوية .

وفي أحد الأعوام انتشر القحط والجفاف والمجاعة والغلاء في البصرة . وبدأ الناس يغادرونها ومن بينهم أخواتها الثلاث وتركوها وحيدة وكانت لا تعرف شيء عنهم . وبعد ذلك ألتقطها لص وباعها لأحد التجار بستة دراهم معدودة فقط . ومنذ ذلك الوقت دخلت رابعة ذل العبودية والرق وبدأت تذوق شتى ألوان المهانة والعذاب لكنها صبرت وتجلدت .

وذات ليلة سمع التاجر همسها في الليل ، فنهض واقترب من غرفتها ونظر إليها من فرجة في الباب ، فتعجب من ما سمع وما رأى .

كانت رابعة ساجدة تصلي في الظلام وهي تدعوا قائلة :-

إلهي أنت تعلم أن قلبي يتمنى طاعتك ونور عيني في خدمتك . ولو كان الأمر بيدي لما انقطعت لحظة عن مناجاتك ولكنك تركتني تحت رحمة هذا المخلوق القاسي من عبادك ، فابتعد التاجر مرتاعاً عن بابها . وفي الصباح استدعاها وأطلق سراحها .

فبعد ما تخلصت من ذل العبودية قيل أنها اشتغلت عازفة للناي في حلقات الذكر . وقيل أنها اندفعت في طريق الشهوات وغرقت في بحور الآثام ، ثم تابت بعد ذلك إلى ربها وانصرفت للعبادة والصلاة وقراءة القرآن .

فمن مناجاتها لربها قولها : (اللهم إني أعوذ بك من كل كائن يشغلني عنك ، ومن كل حائل يحول بيني وبينك إلهي غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه . وهذا مقامي بين يديك .... الخ) .

وتبقى رابعة هكذا طوال الليل تصلي وتتعبد ، ثم إذا طلع الفجر تقول : إلهي هذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر . فليت شعري : أقبلت مني ليلتي فأهنأ . أم رددتها عليَّ فأعزّى ؟ .... إلخ

وكان من مناجاتها لربها :

(يا رب أتحرق بالنار قلباً يحبك ، ولساناً يذكرك ، وعبداً يخشاك)

وكانت تقول في مناجاتها أيضاً :

((إن كنت أعبدك خوفاً من نارك فأحرقني بها ، وإن كنت أعبدك طمعاً في جنتك فاحرمني منها ، أما إذا كنت أعبدك من أجل محبتك فامنحني الجزاء الأكبر وامنحني مشاهدة وجهك يا ذا الجلال والإكرام)).

وكان من شعرها :

حبيبي ليس يعدله حبيب   ولا لسواه في قلبي نصيب

ومن كلامها :

أحبك حبين حب الهوى   وحبٌّ لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى   فشغلي بذكرك عمن سواكا

حبيبي غاب عن بصري وشخصي   ولكن في فؤادي ما يغيب

ومن كلامها : محب الله لا يسكن حنينه وأنينه حتى يسكن مع محبوبه .

وهي التي توصي الناس بقولها : (اكتموا حسناتكم كما تكتموا سيئاتكم) .

وحين بلغت الثمانين تعب جسمها وتوفيت عام ١٣٥ هـ ، ودفنت ببيت المقدس ..... رضي الله عنها .

((حفصة بنت سيرين))

تعتبر من السيدات التابعيات ، وقد اشتهرت بالعبادة والفقه وقراءة القرآن والحديث ، فهي متعبدة طاهرة جليلة مجتهدة في أمور دينها .

يروى عنها أنها قرأت القرآن الكريم وهي ابنة اثنتي عشرة سنة ، وكان أبوها ابن سيرين إذا استشكل عليه شي من القرآن قال : اذهبوا إلى حفصة واسألوها كيف تقرأ .

كانت بعيدة عن أمور الدنيا تماماً ، وقد صرفت كل طاقتها في العبادة المتصلة كرياضة روحية عظمى وكطريقة في الحياة .

ذكر عنها أنها كانت لها كفن دائم هو جزء من ملابسها ، فإذا حجت وأحرمت لبسته ، وإذا جاءت العشرة الأيام الأخيرة من رمضان قامت في الليل ولبسته وكأنها تتوقع ساعة موتها في كل لحظة .

كانت ذات صبر شديد على طاعة الله وعبادته ، فقد كانت تدخل إلى مسجدها فتصلي فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء وتبقى فيه حتى تحين صلاة الصبح فتصلي وتخرج مع النهار ليكون نومها ، ولم تكن تخرج إلا لحاجة أو مقابلة ، فقد كان الناس يسألونها ويستفتونها في شؤون الدين .

وكانت تصوم دائماً ، وكما قيل عنها أنها كانت تصوم الدهر كله ، ولم تكن تفطر إلا في العيدين وأيام التشريق .

ومن أقوالها : يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب ، فإني رأيت العمل في الشباب .

وتعتبر حفصة راوية للحديث ، فقد روت عن أخيها يحيى ، وعن أنس بن مالك وغيرهم . وقد روى عنها محمد بن سيرين ، وقتادة ، وعاصم الأحول ، وغيرهم كثيرون . وقد بلغت من العمر ٧٠ عاماً ، وتوفيت سنة ١٠١هـ وقيل ٩٢ هـ .

((أسماء بنت عميس))

تعتبر من أسبق النساء في الدخول إلى الإسلام ، فقد أسلمت قبل دخول الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بمكة ، وكانت من أوائل المهاجرات إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب .

وقد عاشت أسماء مع جعفر مخلصة وفيَّة في أرض الحبشة ، وقد مرت بتلك اللحظات القلقة التي عاشها المسلمون حين جاء وفد من قريش بهدايا للنجاشي كي يطرد المسلمين ويردهم إلى ديارهم .

تتميز أسماء بسعة أنسابها ورفعة أزواجها .

وهي بالإضافة لزوجها جعفر بن أبي طالب ، فقد تزوجت بعده من أبي بكر الصديق خليفة المسلمين الأول ، وقد كانت أثيرة لديه ، وذات مكانة مرموقة ، وظلت إلى جانبه حتى توفي ، فقامت بغسله بناء على وصيته ، وبعد وفاة أبي بكر تزوجها علي بن أبي طالب .

تعتبر من أنجب النساء و أسناهن رأياً ، وأنفذهن في دين الله ، ذات قول فصل وعلم مكين .

يذكر أن عمر بن الخطاب ، كان يأتي إليها دائماً لتفسر له رؤياه .

كانت حكيمة ذات إرادة ، وفية أصيلة ذات مراس ، وحين كانت على ذمة علي بن أبي طالب ، اختلف ولداها محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر فقال لها علي رضي الله عنه : اقضي بينهما يا أسماء .

فقالت : ما رأيت شاباً من العرب خيراً من جعفر، ولا رأيت كهلاً خيراً من أبي بكر .

فقال علي : ما تركتي لنا شيئاً .

فقالت : إن ثلاثة أنت أقلهم لخيار ـ فتابع علي قوله :

ولو قلتِ غير الذي قلتِ لمقتُّك . ويعبّر هذا الموقف عن مدى صدقها ، وأمانتها وإخلاصها لزوجيها السابقين .

وقد كانت أسماء من أملك الناس لنفسها إذا واجهتها المصائب والأقدار ، ولما بلغها مقتل ابنها محمد بن أبي بكر في مصر دخلت مسجد بيتها وكظمت حزنها حتى فاض ثدياها دماً .

وقد روت عن النبي صلى الله عليه وسلم ستين حديثاً ، روى عنها الكثيرون . وانفرد بالإخراج عنها مسلم . رضي الله عنها .

الشَّيخة سلطانة بنت علي (رابعة حضرموت)

هذه هي رابعة حضرموت في تقاها وصلاحها وتصوفها وشعرها الصوفي وكانت تنظم القصائد والمقاطيع ومعظمه في التصوف وفي المحبة الإلهيَّة وفي مدح الإمام السقاف ، وتكاد تنهج نفس المنهج الذي تسلكه رابعة في شعرها إلا أن شعر رابعة ـ على قلته ـ أنعم ديباجة وفصيح معرب بينما لا تتقيَّد سلطانة بالقواعد النحوية ولا بالألفاظ الفصيحة لأن أشعارها شعبية دارجة تعبِّر عما تجيش به العامة في تلكم الأوساط الصُّوفيَّة ...

ذكر شيء مما في نساء المتقدمين من الفطنة والذكاء

من كلام الحبيب علي الحبشي :

كانت في الأولين فطنة حتى في نسائهم قالوا أن الشيخ العالم محمد بن عمر بحرق مرَّ على ثلاث نساء قائمات واحدة قصيرة في الوسط ، واثنتين طويلتين كل واحد في جانب فقال لهن الشيخ : (أنتن لنا) (أي على شكل كلمة لنا) (أي أنكن في الصورة على شكل كتابة لنا) ففهمت الوسطى كلامه ومالت إلى الجانب الأيسر منهما وقالت : (بل نحن لله) .

وهذا نموذج آخر يحكيه لنا الحبيب علي : وهي الشيخة سلطانة الزبيدية (رابعة حضرموت) قال لها مرّة الشيخ حسن بن عبد الرحمن السقاف أبو علي قال : هي ناقة تماري الجمال ؟! فقالت : نجوّب أو نتأدب معك فقال لها : جوبي فقالت : الحِمل بالحِمل ..والزائد لبن والعيال .

ثم قال : هل في نساء الوقت أحد فيها مثل هذا الذكاء ما أظن حتى في الرجال .

ذكر أبو حاتم عن أبي عبيدة أن أبا الأسود جرى بينه وبين امرأته كلام وأراد أخذ ولده منها فسارا إلى زياد وهو والي البصرة ، فقالت المرأة له : أصلح الله الأمير ، إن ابني هذا كان بطني وعاءه ، وحجري فناءه ، وثديي سقاءه ، أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام فلم أزل بذلك سبعة أعوام حتى استوفى فصاله ، وكملت خصاله وأمّلتُ نفعه ، ورجوت رفعه أراد أن يأخذه مني كرها . فقال أبو الأسود : أصلحك الله ، حمله خفاً ، وحملته ثقلاً ، ووضعه شهوة ، ووضعته كرها . فقال له زياد : اردد على المرأة ولدها ، فهي أحق به منك ، ودعني من سجعك .

من فصحاء النساء المتكلمة بالقرآن

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى :

خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في الطريق إذا أنا بسوادٍ على الطريق فتميزت ذاك فإذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف ، فقلت : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقالت : ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾(١) قال : فقلت لها يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان ؟ قالت : ﴿ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ ﴾٢

---

١) يس آية ٥٨ .

٢) الأعراف آية ١٨٦ .

فقلت لها: أين تريدين ؟ قالت: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ (١) فعلمت أنها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس ، فقلت لها : أنت منذ كم في هذا الموضع قالت : ﴿ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾(٢) فقلت : ما أرى معكِ طعاماً تأكلين قالت : ﴿ هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾(٣) قلت فبأيِّ شيءٍ تتوضئين قالت : ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾(٤) فقلت لها : إن معي طعاماً فهل لك من الأكل قالت : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾(٥) قلت : ليس هذا شهر رمضان ، قالت : ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾(٦) فقلت قد أبيح لنا الإفطار في السفر قالت : ﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾(٧) قلت : فلم لا تكلميني مثل ما أكلمك قالت : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(٨) فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتي قالت :

---

١) الإسراء آية ١٠ .
٢) مريم ١٠ .
٣) الشعراء ٧٩ .
٤) النساء ٤٣ .
٥) البقرة ١٨٧ .
٦) البقرة آية ١٥٨ .
٧) البقرة آية ١٨٤ .
٨) ق آية ١٨ .

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾(١) قال : فانحنت ناقتي قالت : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾(٢) فغضضت بصري وقلت اركبي فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة ومزقت ثيابها فقالت : ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾(٣) فلما ركبت قالت : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾(٤) ، قال : فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح ، فقالت : ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ (٥) ، فجعلت أمشي رويداً رويدا ، وأترنم بالشعر فقالت : ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ (٦) ، فلما مشيت بها قليلاً قلت لها : ألكِ زوج ؟ قالت : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ (٧) ،

١) البقرة آية ١٩٧ .
٢) النور آية ٣٠ .
٣) الشورى آية ٣٠ .
٤) الزخرف آية ١٣ ، ١٤ .
٥) لقمان: ١٩ .
٦) المزمل: ٢٠ .
٧) المائدة: ١٠١ .

فسكتُّ ولم أكلمها حتى أدركت القافلة ، فقلتُ لها : هذه القافلة فمن لكِ فيها ؟ قالت : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (١) ، فعلمتُ أن لها أولاداً فقلتُ : وما شأنهم في الحج ؟ قالت : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (٢) ، فعلمتُ أنهم أدلاء الركب ، فقصدت بها القباب والعمارات ، فقلتُ : فمن لكِ فيها ؟ قالت : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (٣) ، ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (٤) ، ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (٥) فناديتُ : يا إبراهيم ، يا موسى ، يا يحيى ، فإذا أنا بشبانٍ كأنهم أقمار قد أقبلوا ، فلما استقرَّ بهم الجلوس قالت : ﴿ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾ (٦) ، فمضى أحدهم واشترى طعاماً فقدموه بين يدي ، فقالت : ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ (٧) ، فقلتُ :

---

١) الكهف: ٤٦
٢) النحل: ١٦
٣) النساء: ١٢٥
٤) النساء: ١٦٤
٥) مريم: ١٢
٦) الكهف: ١٩
٧) الحاقة: ٢٤

الآن طعامكم عليَّ حرام حتى تخبروني بأمرها ، فقالوا : هذه أمنا منذ أربعين سنة لم تتكلم إلاَّ بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن ، فسبحان القادر على ما يشاء !.(١)

ذكر شيء مما كان من نساء المتقدمين من العبادة والطاعات

من كلام الحبيب علي الحبشي يقول : (لما أتت الوالدة علوية إلى بلدة المسيلة سألت عن السيدة عائشة بنت عمر أخت الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى ، وعن السيدة نور بنت الحبيب عبد الله بن حسين ، فقيل لها : إن السيدة نور في مصلاها تركع إلى العشاء ، وأما السيدة عائشة فهي في الخلوة تبقى فيها إلى العشاء ، وكانت الوالدة علوية عازمة على المسير فقالت : أسير أولاً إلى عند السيدة عائشة ، فلما جلست عند أهل البيت قالت السيدة عائشة : عندكم علوية ؟ فقالوا نعم .. ففتحت الخلوة ، فحلفت الوالدة أن وجهها مثل القمر حين فتحت الباب ، ثم أتت السيدة نور وقالت إني أسرعت في الورد لأجل علوية ...) .

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف صـ ١٠٠ ، ج١ .

وكما ذُكر في أدوار تاريخ حضرموت للعلامة محمد الشاطري : (إن أكثر- بل غالب - نساء حضرموت يستيقضون باكراً ويقومون السَّحَر - يسمون ذلك قيام الربع - يعنون به الربع الأخير من الليل فيحيونه بالتلاوة والعبادة والطاعة ، ويدربون أولادهم على هذا لينشأ نشأة الطاعة والعبادة) .

ذكر شيء مما عند نساء المتقدمين من التربية لأولادهم ولغيرهم

من كلام الحبيب علي بن محمد الحبشي : (قال الحبيب أحمد بن عبد الله بن حسين بن طاهر : مرةً جئتُ إلى عند أختي نور أنا وبعض أصحابي فقالت : يا عيالي : اعتنوا بعلم الفقه لأن به قوام الشريعة المطهرة ، والناس تركوه ، والمدار عليه ، الله الله في الفقه ، شفوه با يضيع ، وأنت تطلع إلى تريم اجعل مذاكرتك كلها في الورع وفي الحلال والحرام ، لأن الحرام عم ، والورع ارتحل من الوادي ، وضاعت علينا الأشياء ، والقلوب قسبت من حين ارتحل الورع ، صِحْ عليهم من جهة الورع وترك الشبهات ، شف أكل الحرام نكس القلوب) . انظر إلى الأولين حتى نساءهم كيف ؟!! ومن هنا يقولون : (كم من قَصَّة خير من لحية) .

وهذا نموذج آخر من التربية يحكيه لنا الحبيب علي الحبشي يقول :

(وهذه السيدة أم الحبيب عبد الله بن حسين أعظم وأعظم ، وهي السيدة شيخة بنت عبد الله بن يحيى ، جاءت من زوجها حسين بالأولاد طاهر وعبد الله وخديجة ، وربتهم غاية التربية حتى صاروا رجالاً أعلام ، قالوا إن الحبيب عبد القادر بن محمد الحبشي صاحب الغرفة كانت له مجاهدات عظيمة ، وأربعينيات طويلة ، وأخذ عشرين سنة ما شرب فيها الماء ، ولما جاء إلى المسيلة فرحوا به ، وذهب الحبيب طاهر والحبيب عبد الله إلى عند والدتهما ، وقالا لها : يا أماه هذا الحبيب عبد القادر الحبشي من شأنه كذا ، ومن أمره كذا ، وأن له عشرين سنة ما شرب فيها الماء ، فقالت لهم : نِعْمَ الرجل ، ونِعْمَ ما فعل ، ونِعْمَ ما وصفتوه به ، ولكن هاتوا طاسة واملئوها ماء ، فأتوها بها ، فقالت لهم اطلعوا بها إليه وقولوا له : تسلِّم عليك أمنا ، وتقول لك أشرب الماء كما شرب جدك محمد صلى الله عليه وسلم ، ما تفاوت الرجال والمفاضلة بينهم إلاَّ عند الترك والنهي ، هل مضت لك عشرين سنة ما فعلت فيها مكروهاً ولا هممت به ، أما العبادة حتى العجائز تعرف لها . فقال لها الأولاد : كيف نتجرأ على الحبيب عبد القادر ؟ فقالت لهم أطلعوا إليه إن بغيتوا الخير والبركة وقولوا له ذلك ،

فطلعوا إليه وأخبروه بما قالت أمهم ، فقال الحبيب عبد القادر : صدقتْ صدقت ، نِعْمت المربية ، ونعمت المؤدبة ، ونِعْمَ ما قالت ، هاتوا الماء ، فأعطوه الطاسة وشرب ...) .

ويحكى أيضاً أن امرأة من الأوائل كان عندها ولد ، وكانت تقول له : ما أنت رجال ، هل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم !! فذهب الولد حريص على أن يحوز اسم الرجولة ، فذهب يقرأ ويتعلَّم ، وكل يوم يأتي بالأدعية والآداب ، دعاء النوم ، دعاء الأكل ، دعاء الخلاء ، دعاء المنزل ... حتى رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فجاء مسروراً إلى أمه فقال لها : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت له : في المنام أو في اليقظة ؟ قال لها : في المنام ، فردَّت عليه معاتبة له : أنت الآن أنت نصف رجل ،، ولن تصير رجلاً حتى ترى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ، فذهب يجتهد أكثر فأكثر ... حتى رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وجاء فرحاً إلى أمه يخبرها فقالت له أنت الآن رجل كامل .

ومما روي عن بعض أجدادنا العلويين أنه قال : جئت وأنا في التاسعة من عمري ، وأمي تسبح الضحى ، فرأيت ما ارتفع له صوتي قليلاً بالضحك ، فلما انفلتت أمي من صلاتها إلا وقد بلت خمارها بالدموع تسترجع ، وتقول : لقد أصبحت بيوتنا شبيهة بالأسواق ، وما كان يسمع فيها إلا ذكر الله ، وتلاوة القرآن ، فقالت لي أختي مريم : هل لك في التوبة ؟ فقلت لها : نعم ، وتبت على يدها ، وأخذت ميثاقي على أن لا أعود إلى مثلها ، وبقي الخدم سنة يؤنبوني ، ويقولون : توبة مقبولة (١) .

وحكي أن أسماء بنت خارجة قالت لابنتها ليلة زفافها : (يا بنية : إنك خرجت من العش الذي فيه درجتِ ، فصرت إلى فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه ! فكوني له أرضاً ، يكن لك سماءً ، وكوني له مهاداً يكن لك عماداً ، وكوني له أمةً يكن لك عبداً ، وأحفظي أنفه وسمعه وعينه فلا يشم منك إلا طيباً ، ولا يسمع إلا حسناً ، ولا ينظر إلا جميلاً) (٢).

---

١) من كتاب : العود الهندي عن أمالي في ديوان الكندي صـ٢٦٠ .

٢) من كتاب سمير المؤمنين صـ٢٣ .

النور يتجلى من خلال هذه الحروف ، التي صدرت عن قلب مليء بالإيمان ونفس فائضة بالإخلاص ، كيف لا ! وقد غرست أسماء المرأة الصالحة في نفس ابنتها حقوقاً وآداباً لو عملت بها الفتاة في بيت زوجها وتحلت بها المرأة لسعدت البيوت وتم الوفاق بين الزوجين ونشأ الأولاد على الفضيلة .

ذكر شيء مما عند نساء المتقدمين من تعظيم شعائر الله

يحكى أن امرأة أتت حاجة بيت الله الحرام وكانت لا تعرف الكعبة وكانت تقول لمن حولها من الناس أين بيت ربي ؟! أين بيت ربي ؟! أين بيت ربي ؟! فلما دلوها عليه كبَّت عليه مسرعة تقبله وتقول : بيت ربي بيت ربي بيت ربي وهي تبكي فماتت من ساعتها ..

ذكر شيء مما عند نساء المتقدمين من الحياء والحشمة

مما يحكى عن نساء المتقدمين في حضرموت أن المرأة لا تخرج من البيت إلا مرتين فقط ، المرة الأولى : خروجها من بيت أبيها إلى بيت زوجها ، والمرة الثانية : خروجها من بيت زوجها إلى المقبرة .

ومما يذكر - أيضاً - قريباً - قبل ٢٠ سنة تقريباً أن المرأة لا تمشي في الشارع منفردة لا تمشي إلا مع محرم ولا تخرج إلى الأسواق .. أين هذا الكلام اليوم في زماننا هذا ؟!!

<u>ختاماً</u> : يكفي نساء زماننا اليوم قول الزهراء عند ما سئلت ما هو خيرٌ للمرأة قالت : أن لا ترى رجل وأن لا يراها رجل .



المؤلف في سطور ....

هو السيد الشريف الفاضل (محمد بن علوي العيدروس) الملقب (سعد) ولد بتريم سنة ١٣٥١هجرية ونشأ بها وأخذ عن جملة من علماءها وخصوصاً في رباط تريم ، ثم إنتقل إلى عدن لكسب المعيشة ولقي بها قسوة من حكومة ذلك الوقت الشيوعية الحمراء حيث إحجزته في السجن بلا ذنب ولا إحترام كما عملت مع كثير من الصالحين ومع تلك المحنة التي مر بها قدر الله له أن يحفظ كتابه الكريم في غياهب السجن ثم خرج منه بعد أن قضى فيه قرابة أربع سنوات وذلك عام ١٣٩٥هجرية ورجع إلى تريم وأقام بها إماماً في مسجد الإمام السقاف ومعلماً للقرآن الكريم الذي وهبه الله إياه في معلامة أبي مريّم وتوالى عليه الطلاب مع شدة ظلمة الشيوعية في ذلك الزمن ولا زال المعين جار ، شغف المؤلف بالقراءة والمطالعة والجمع حتى بلغت مؤلفاته نيف وسبعين كتابا ، شارك في العديد من الندوات والمرتمرات في البلاد.

طبعت له العديد من الكتب التي عمت الفائدة والنفع والبركة منها:

- الآيات المتشابهات والمتماثلات والمتقاربات ،.
- النيات ..
- مختارات من كلام الإمام الحداد..
- خواص أسماء الله الحسنى ..
- فضائل لا إله إلا الله..
- علاج النسيان..
- كيف تكون غنيا ..
- السنن المهجورة ..
- نتف الزمان في أخبار ما قد كان ..
- ثناء الغريبين..
- فوائد من الإعجاز القرآني..
- خمسمائة سنة من سنن الصلاة..